بسم الله الرحمن الرحيم

ورقة بعنوان :-

أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية
(دراسة حالة مردود الثقافة الأفريقية غرب أفريقيا)

إعداد :

د. حاج ابا أدم الحاج

أستاذ مشارك بكلية الموسيقى والدراما

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

مدخل :-

تتناول هذه الورقة بالدراسة والتحليل الأثر الثقافى الإسلامي على مردود الثقافة الأفريقية فى غرب أفريقيا .

فى مقدمة هذه الورقة لا بد من الوقوف على معنى أو مفهوم الثقافة الإسلامية والثقافة الأفريقية والأثر الذى أحدثته الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية فى غرب أفريقيا [1].

نتعرف أولاً على المفهوم الفلسفى للثقافة :

استعمل العرب كلمة الثقافة للدلالة على معان متعددة فيها الحذق وفيها الفطنة والذكاء وسرعة التعلم والضبط وفيها الظفر بالشئى والتغلب عليه وفيها التقويم والتهذيب ، يقال ثقف الشئ ثقفاً وثقافاً إذا حذفه ، ويقال للرجل ثقفى بتسكين القاف وكسرها وبضمها ، ويقال للمرأة ثقاف ، ويقال رجل ثقف إذا كان ضابطاً لم يعلم قائماً به قال تعالى : فى محكم تنزيله { **واقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ** }[2] وقال جل من قائل { **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ** }[3] .

ذكر القرطبي فى تفسيره أن " ثقف " فى الايتينى الكرمتينى تدل على الاسر والظفر بالعدو. [4]

وتستعمل كلمة التثقيف استعمالاً حسبا مدلياً واستعمالاً أخر معنويا َ اما الاستعمال المادى فكقول : تثقيف الرماح اى تسويتها وتقويم اعوجاجها أما الاستعمال المعنوى فكقولنا ، ثقيف العقل .

---

[1] الحضارة – د حسين هوانسى - الدار العربية للكتبا – القاهرة 1868م – ص319

[2] سورة البقرة الآية 191

[3] اسورة الانفال الآية 56

[4] المرجع السابق – ص322

أما التعريف الإصطلاحى ففى عهد الرومانى استعملت كلمة الثقافة للدلالة على الفنون غير العلمية وغير الطبيعة فى عصر النهضة الأوربية أصبح اللفظ ، ثقافة يطلق على الآداب والفنون " بقول هنرى لاوست "[1] (أن الثقافة هي مجموعة الأفكار والعادات الموروثة التى يتكون منها مبدأ خلق أمة ويؤثر بها اصحابها ووتنشأ في عقلية خاصة بتلك الآمة تمتاز بها عن سواها) .

ويعرف رنست باركر ، الثقافة " أنها زخيرة مشتركة لأمة من الأمم تجمعت لها وانتقلت من جيل إلى جيل خلال تاريخ طويل وتغلب عليها بوجه عام عقيدة دينية وهى جزء من تلك الزخيرة المشتركة التى تشمل الافكار والمشاعر واللغة " .

وقد بين "ماثيو آرونلد "[2] فى كتابه (الثقافة والفوضى 1869م) " أن الثقافة هى محاولتنا للوصول الى الكمال الشامل عن طريق العلم باحسن ما فى الفكر الانسانى مما يؤدى الى رقى البشرية وان الدين من العناصر التى استعان به الانسان فى محاولته الوصول الى الكمال" .

ونحن المسلمون ننظر الى هذا التعريف يعبن النقد والناقد البصير الخبير بما يقبل وبما يدع ذلك لآن العقيدة الإسلامية ليست مجرد عنصر من العناصر التى يستعين بها الانسان للوصول الى الكمال وإنما هى المفتاح الأول للوصول إلى كل خير وإلى كل كمال ، نتعرف الى تعريف أخر للثقافة وقد ذكر الدكتور (احمد شلبى) فى موسوعته " النظم واالحضارة الإسلامية " تعريفاً للثقافة قال فيه (أنها الرقى فى الأفكار النظرية وذلك يشمل الرقى فى القانون والسياسة والاحاطة بقضايا التاريخ المهمة والرقى كذلك فى الاخلاق أو السلوك) [3].

---

[1] المرجع السابق – ص339 .
[2] زيدان عبد الباقي ركائز علم الإجتماع ، القاهرة ، 1961م ، ص 67 .
[3] احمد شلبي ، الحضارة الاسلامية

هنالك تعريفات نوعية للثقافة يركز فيها المختصون على جوانب تنتمى لاختصاصاتهم ، مثلاً يرى علماء الانسان والأجناس أن الثقافة باعتبارها الركن الأساسى فى فهم الانسان والجماعات تمثل أسلوب الحياة فى مجتمع ما بما يشمله هذا الاسلوب من تفصيلات لا تحصى من التدخل الانساني ، ويرى علماء الاجتماع (انه اى الثقافة يقصد بها الناتج الإنسانى للتفاعل الاجتماعى التى تشمل كل الاشكال المادية والروحية فى المجتمع وأنها تشكل عناصر مشتركة بين أفراد المجتمع ومن ثم فانها تفرض على اعضاء المجتمع التزامات معينة وسلوكيات محددة) .

التعريفات السابقة الغرض منها معرفة كنه الثقافة وتعريفها ، عليه لا بد لنا أن نعرف أولاً ما هي الثقافة الإسلامية ، يعرف عمر عودة في كتابه لمحات من الثقافة .[1] ، فيقول (أن الثقافة الاسلامية هي الصورة الحية للأمة الاسلامية فهى التى تحدد ملامح شخصيتها وقوام وجودها وهي التى تضبط سيرها فى الحياة وتحدد اتجاهها فيه أنها عقيدتها التى تؤمن بها ومبادئها التى تحرص عليها ، ونظمها التى تعمل على التزاماتها وتراثها التى تخشى عليه من الضياع والاندثار ، وفكرها الذى يود له الزيوع والانتشار) [2]

عليه فان الثقافة الاسلامية هى الشخصية الاسلامية التى تقوم على عقيدة التوحيد وتطبيق الشريعة الاسلامية والاخلاق الايمانية المستقاه من مصادر الاسلام الاساسية وهى الكتاب والسنة ، لذلك فان الثقافة الاسلامية تختلف عن غيرها من الثقافات ، غربية كانت أم شرقية في حيث الأسس والمقومات والأهداف .

[1] المرجع السابق – ص 339
[2] زيدان عبد الباقى – تاثير علم الاجتماع – القاهرة – 1961م – ص67

لكى نصل الى المعنى المراد من الثقافة الاسلامية لا بد من الرجوع الى مفهوم كلمة ثقافة فى اللغة وإلى تاريخها فنحن أمام مشكلة لغوية وتاريخية كلمة ثقافة من اين جاءت ومنذ متى استخدمت فى اللغة العربية ؟

حتى نجيب عن هذا السؤال لابد من الرجوع الى المعاجم اللغوية لنرى المعانى التى تدور حول هذه الكلمة .

أن كلمة ثقافة تعنى المعاني الحسية والمعنوية فتقويم المعوج وتسويته وصلاحه والعناية بالاراضى من حيث حرثها وإصلاح شئونها يعتبر ثقافة بالمعنى المادي ، أما سرعات التعلم والفهم والإدارك والحذق والفطنة وتنمية العقل والذوق والآدب يعتبر ثقافة بالمعنى المعنوى .

إن علماء اللغة العربية على أختلافات تخصصاتهم لم يوظفوا كلمة ثقافة بالمعنى الواسع ولم يؤسسوا علما يسمى الثقافة ، وإما جاء التعبير وليد الدراسات العصرية التى تأثر المسلون فيها بكثير من المسميات التربوية الغربية [1].

فثمة اتجاه يجعل حياة الأمة الإسلامية أساساً يدور عليه التعريف وهذا هو الإتجاه التربوى فى تعريف الثقافة فأصبح تعريف الثقافات فى نظر أصحاب هذا الاتجاه هو ما يعرف بالتعريف العام للثقافة الاسلامية وهى معرفة مقومات الامة الاسلامية العاملة بتفاعلاتها فى الماضى والحاضر من دين ولغة وتاريخ وحضارة وقييم وأهداف مشتركة بصورة واعية ، أما الاتجاه الآخر فيرى أن الثقافة الإسلامية مرادافة للدراسات الإسلامية أو العلوم الإسلامية فأصبح تعريف الثقافة فى نظر أصحاب هذا الإتجاه هو ما يعرف بالتعريف الخاص للثقافة الإسلامية ، معرفة مقومات الدين الإسلامى ، هذا التعريف يعنى بدراسة العلوم الاسلامية بجوانبها

[1] نادية شريف – اضواء على الثقافة الاسمية – مؤسسة الرسالة – بيروت – 1975م –ص 75

المتعددة المستمدة من القرآن الكريم والسنة المحمدية ، كالتفسير والحديث والعقيدة والفقه .

هنالك اتجاه ثالث يرى[1] ، أن الثقافة الاسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصة التى تميزه عن العلوم الإسلامية وهو علم أوجدته الاحداث والدراسات المعاصرة ، عليه فان تعريف الثقافة الإسلامية هو مايعرف بالتعريف المميز للثقافة الاسلامية وهى تمثل دراسة ومعرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية ومقومات الدين الإسلامى ، ما يميز هذا التعريف للثقافة الاسلامية أنها تقوم بدراسة العلوم العصرية الجديدة فى وجهة النظر الاسلامية ودراسة الشبهات التى اثارتها اقلام من ارباب الغزو الفكرى الغربي فيما يتعلق بالمرأة من حيث عملها والزواج والطلاق والرق وغيره من ذلك ، يقوم أيضا على دراسة التيارات الفكرية الحديثة كالعلمانية والرأسمالية والشيوعية والمأسنوية وغيرها ، ولذلك فان الثقافة الاسلامية علماً مستقلاً ومميزاً عن غيره من العلوم الاسلامية والتى لها موضوعاتها واسلوبها لذلك نبعت أهمية دراسة الثقافة الاسلامية لآن للثقافة الاسلامية غايات وأهداف تسعى الى تحقيقها [2].

يمكننا طرح هذا السؤال الذى يؤكد أهمية هذه الورقة وهي ، ما هو موقف الثقافة الاسلامية من تحديات الثقافة الغربية لكي نتبين مدى تاثير الثقافة الافريقية .

فإن الإجابة على السؤال في أربع إتجاهات هي :-

الاتجاه الأول : يتخذ موقفاً سلبياً أمام الحضارة الغربية وكل ما انبثق عنها من مؤسسات حضارية وثقافية وهو يدعو عدم الأخذ بشئ من اسباب هذه الحضارة هذا الموقف السلبي هو سوء تفسير للدين الذى يحث على استعمال العقل والتفكير .

[1] المرجع السابق – ص 82
[2] المرجع السابق – ص 92

أما الاتجاه الثاني : يدعو يدعو الى التغريب والأخذ بكل اسباب الحضارة خيرها وشرها سواء ما يتعلق بالعلم والصناعة أو ما يتعلق بالثقافة واسلوب الحياة الروحية والعقلية وهذا الاتجاه يمثل موقف المستسلم للحضارة الغربية المقلد لها المؤمن بكل ما فيها ، مثال " دولة تركيا " قدسوا الحضارة الغربية وقامو بفصل الدين عن الدولة ونتيجة لذلك ان فقدت تركيا ماضيها وانفصلت عن تراثها وتاريخها واصبحت مقلدة للمظاهر السطحية من الحضارة الغربية .

أما الاتجاه الثالث : يحاول أن يوفق بين الحضارتين ويدعو الى تقريب مبادئ الاسلام فى الحضارة الغربية ،وهو اتجاه يحاول أن يطور الثقافة الاسلامية والتوفيق بينه وبين الثقافة الغربية ، هذا الاتجاه سينتهى بالمسلمين الى الفرقة التى لا اجتماع بعدها لأن كل جماعة سوف تذهب في تطوير مذهب يخالف غيرها من الجماعات الاسلامية ومع مرور الآيام نجد ثقافة اسلامية تركية وأخرى هندية وإيرانية ، حتى تصبح الأمة الاسلامية أشلاء ممزقة وهذا هو الهدف الرئيسى للمستشرقين واليهود.

أما الاتجاه الرابع : يمثل في الدعوة الى احتفاظ المسلمين باسلامهم حسب ما جاء فى القرآن الكريم والسنة المحمدية ، والوقوف عند حدود الفكر الاسلامى من منابعه الاصلية واعادة تماسك الجماعة الاسلامية مع الافادة من خير ما انجزته المدينة الغربية والحضارة الغربية مع عدم الاخذ من الثقافة الغربية نفسها إلا ما كان منها لا يتعارض مع شخصية الأمة الاسلامية وثقافتها ، هذا الاتجاه يحاول أن يبقى المسلم على مستوى الشعور ابداً إنه صاحب عقيدة ورسالة وثقافة ومنهج فى الحياة وكان من ثمرات هذا الاتجاه انه أعاد الثقة إلى المسلمين واحياء ثقافتهم وتاريخهم ومستقبلهم وبهذا استطاع ان يحقق محافظة المسلمين على شخصيتهم الاسلامية الاصلية التي قاموا بنشرها وإيصالها الى خارج خارطة الدول الاسلامية وخاصة

أفريقيا حيث تدرو فكرة الورقة الى الاثر الايجابى للثقافة الاسلامية على الثقافة الافريفية ، بعد أن القينا الضوء الى المفهوم الفلسفى للثقافة والثقافة الاسلامية لا بد لنا أن نلقى الضوء على مفهوم الثقافة الافريقية ماهيتها ، مفهومها حتى يتبين ذلك الأثر الذى احدثته الثقافة الاسلامية على الثقافة الافريقية [1].

فى البدء لا بد لنا ان تتناول مفهوم الثقافة الافريقية ، ما المقصود بالثقافة الافريقية أو ما المقصود بكلمة ثقافة و كلمة افريقيا ، نحن أمام مصطلحين مصطلح فنى وهي الثقافة ومصطلح جغرافى هو أفريقيا . أما المصطلح الأول وهو يستخدم ليشمل مناحى الحياة لآن الثقافة هى مكونات حياة الانسان .

هنالك اجماع على أن الثقافة الافريقية تعنى ثقافة المناطق جنوب الصحراء الكبرى حتى إلتقاء القارة بالمحيط أقصى الجنوب حيث لم تكن الصحراء الكبرى فاصلاً حقيقا بل كانت طريق الهجرات والقوافل والتجارة ، لم يكن ابناء شمال الغارة فى عزله عن الزنوج لأن انتشار الثقافة الاسلامية جنوب الصحراء الكبرى تغلغلها فى ثقافات الشعوب الافريقية قد شكل مؤثراً مهماً فى الثقافة الافريقية .

بدأت براعم الثقافة الافريقية المتأثرة بالثقافة الاسلامية تتضح فى غرب افريقيا قبل دخول المستعمر القارة الافريقية فوجدت الثقافة الاسلامية بيئة خصبة فى ممالك " مالي " أو " البرنو " وغيرها من الممالك الافريقية الاسلامية .

تطرح الورقة ظاهرة ، الالتقاء والتماس الثقافى ونتاجه لآن ظاهرة ألتقاء الثقافة الاسلامية بالثقافة الافريقية افرزت بيئات حضارية اسلامية في غرب افريقيا تجمعها صفات وخصائص الثقافة الاسلامية في غرب افريقيا من وحدة اللغة والدين والمثل والقييم .

[1] علي الخاتم ، الإسلام في غرب أفريقيا وآثاره الثقافية ، مجلة دراسات أفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 1985م ، ص 28.

قبل أن نبدأ فى تناول وتحليل الأثر الاسلامي على الثقافة الافريقية لا بد من أن نتناول الأسباب والدوافع التى جعلت الشعوب الافريقية بصفة عامة وغرب أفريقيا بصفة خاصة ، لأن الشعوب فى غرب افريقيا لم يقبلو الثقافة الاسلامية الا بعد ان فحصوها وتهيأوا لها نفسياً لوجود توافق بينه وبين الديانات التقليدية ولآن الديانة الاسلامية بها بعض الجوانب النافعة التي تحفزهم لاعتناقه ولا تتعارض مع أساسيات المجتمع الافريقيى التقليدى وممارساته الطبيعية القديمة [1].

تهتم الثقافة الاسلامية على التعبير الروحى خلال أداء الشعائر الجماعية التى تؤكد التامسك الاجتماعى والوحدة و الأخاء كما ان الثقافة الاسلامية لا تتعارض مع أساسيات الثقافة الأفريقية ، أن الثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا لم تحدث اى هزات عنيفة فى البنية الإجتماعية والإقتصادية والثقافية فى غرب افريقيا ، فقد ظلت معظم تقاليد الحياة الأسرية على صورتها العرقية لعدم تناقضها مع الثقافة الاسلامية ، كما أن حياة الجماعات الإسلامية في غرب أفريقيا بقيت على أساس الحياة التقليدية الافريقية بنفس أساليبها القديمة فى الزراعة وسائر الحرف والصناعات الحرفية .

ومن المسائل التى سهلت على الافارقة فى غرب افريقيا فى اعتناق الاسلام والتأثر بثقافته لآن الافكار السائدة فى الفكر الديني التقليدى الأفريقي بها ممارسات موجودة فى الاسلام ومنها ايمان الديانات الافريقية بفكرة الخالق الواحد المهيمن وهو رب السماء وترفض الشر وتحث على الخير وتؤمن بالغيب وأن وظفت السحر وسيطاً لاستجلاء مخاوفه [2].

ومن العوامل التى حققت الإلفة بين الدعاة المسلمين تجاراً أو علماء هو أن ميولهم الثقافية لم تختلف عن ميول الأفريقي لآن الاسلام دخل غرب افريقيا عبر

[1] المرجع السابق ، 49 .
[2] المرجع السابق – ص 38

الوسائل الروحية والوجدانية للانسان الافريقي وحافظ على الاسلام في نفس الوقت على هيكل البناء الثقافى الافريقي بهويته الافريقية لذلك أرى أن الثقافة الاسلامية أثرت وتأثرت بالثقافة الأفريقية لانه جاء هادياً مع تعامل المسلمين ومؤثراً لانه أنه الثقافة الاسلامية تتوافق مع الثقافات الافريقية خلال تلك المؤثرات لأن مدخله كان تعليمي [1].

أن مهمة الثقافة الإسلامية أن تنمى عقيدة الايمان وتزيح عنها عناصر الشرك وتحولها الى عقيدة التوحيد ، وهذا ما فعلته الثقافة الاسلامية مع افارقة غرب افريقيا ، كانت عملية التحول والتاثر تتم فى يسر لآن استجابة الانسان الافريقي فى غرب افريقيا كانت فطرية رغم ترسب أثار الديانة الوثنية والتى تحولت خلال عباداتهم وسلوكهم الثقافى والإجتماعى والتى ولم توقف حياتهم القديمة وانما امتزجت وسارت بصورة سهلة مع الاستجابة للثقافة الاسلامية التى تمدهم بالحقائق المتعلقة بوحدانية الله سبحانه وتعالي وبالكون والانسان .

يجدر بنا أن نبين أن انتشار الثقافة الاسلامية فى غرب أفريقيا كانت بواسطة اللغة وهي الوعاء التى من خلالها ظهرت اثار الثقافة الاسلامية لأن اللغة العربية هى لغة القرآن والتى تمت بها كتابة الأعمال الثقافية الافريقية .

ابمراطوية غانا :

قامت امبراطورية غانا فى اطراف الصحراء وفى نهاية طرق القوافل ، قامت بدور كبير وهام فى نشر الاسلام وحضارته وثقافته وعلومه .

---

[1] حسن عبد الظاهر – الدعوة الاسلامية فى غرب افريقيا – الزهراء للاعلام العربي – القاهرة – 1991م – ص72

المماليك و الامبراطوريات الاسلامية :-

1/ دولة الفولاني :-

بدأ انتشار الاسلام فى البربر ، واخذ ينمو فى قبائلهم جنوباً من اكبر تلك القبائل قبيلة "صنهاجة" ببطونها المختلفة .

الهجرة التى قامت بها قبائل البربر فى مجموعات لها أثر فى نشر الدعوة الاسلامية .

اقامت البربر " امبراطورية تودغست" خلال القرنين الثالث والرابع من الهجرة ، قامت الامبراطورية بدور كبير فى الدعوة الاسلامية .

2/ الدعوة الاسلامية فى امبراطورية مالي :-

مالي هي اعظم ممالك افريقيا المسلمة قامت فى القرن السابع [1].الهجرى وهي تشمل على ضم اقاليم هي :

1. مالي ، سميت الامبراطورية باسمها
2. وصوصو يسمونها صوصو وهي من الغرب
3. بلاد غانا غرب اقليم صوص
4. بلاد كوكو – شرق اقليم مالى
5. بلاد التكرور – وعاصمتها مدينة تكرور

العلماء والشعر والافارقة : -

كان للاسلام الفضل فى نقل اللغة العربية والعلماء الى افريقيا خلال تأثرهمبالثقافة الاسلامية لم يكن لجهود الدعاة والوعاظ ولا الشعر ولا لحلقات العلم والتحصيل فى المساجد والبيوت من هدف سواء شرح أسس وقواعد الاسلام

[1] توماس ارنود ، الدعوة الاسلامية ، ص 391

والمعتقدات والثقافة الاسلامية لتنظيم المجتمع الافريقي على اسس جديدة تواكب الثقافة الاسلامية .

لقد مرت الدعوة الاسلامية وأثرها الثقافى على المجتمعات الافريقية بثلاث مراحل .

المرحلة الأولي :

المرحلة التى قام فيها الدعاة من التجار والعلماء وسط القبائل الافريقية قامت هذه المرحلة بنشر الثقافة الافريقية وتعاليمه وإمتدت من القرن الأول الى القرن الرابع الهجرى .

المرحلة الثانية :

امتازت بتوثيق العلاقات بين الجزيرة العربية وافريقيا من جهة اخرى وفيها جاء الدعاة والمعلمون والسفراء وجابوا مناطق افريقا .

المرحلة الثالثة :

تبدأ فى القرن العاشر الهجرى وتمتد الى القرن الثالث عشر الهجرى وقد كانت النتائج الطبيعية للمرحلة الأولى والثانية وامتازت هذه المرحلة بالريادة للدعوة الاسلامية للعلماء الافارقة الذين كان انتاجهم الادبي مساهمة فى نشر الثقافة الاسلامية.

قامت ممالك ودويلات أفريقية إسلامية خلال فترة العصور الوسطى " القرن الثامن والسادس عشر " [1] سادت هذه الممالك فى غرب افريقيا وساهمت اسهاماً ايجابياً فى انتشار الثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا ، كما ساعدت على نشر التراث الاسلامى ، بالاضافة الى الدور التى لعبته تلك الممالك فى تاريخ المنطقة اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً ، وبذلك تكون ساهمت فى ازدهار الثقافة الاسلامية وانتشارها فى

[1] د. عمر احمد سعود – مدخل الآدب الافريقي – جامعة افريقيا العالمية – الخرطوم – 2002م - ص18

غرب افريقيا حتى بلغت اقصى مداها وانتشارها فى ايام الخلافات (الصكتية) فـــى القرن التاسع عشر .

ارتبطت الثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا كما فى غيرها من المناطق باللغـــة العربية ، لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية ،وسار الاسلام واللغة العربية جنباً الى جنب مع الجهاد فى نشر ثقافة الإسلام وتوسيع رقعة البلاد الاســـلامية فـــى غـــرب القارة[1].

كان الانسان الافريقى فى غرب افريقيا يحترم اللغة العربية احتراماُ اقرب من التقديس لآنها لغة القرآن الكريم ، وبها يؤدى صلاته وبها يتلو القرآن ، وبها يقرأ العلوم الاسلامية ، لذلك فان المجتمع الافريقي فى غرب افريقيا يعطى العلم والعلماء منزلة عظيمة ورفيعة لآن أول ما انزل الله من القرآن الكريم كان يدعو للقراءة والعلم **{ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وربُّكَ الأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) }** صدق الله العظيم . [2]

منذ فجر التاريخ والقلم العربى هو القلم المعروف فى أفريقيا وأيضا هنالك عدة علاقات تجارية قوية تربط بين الجزيرة العربية وغرب افريقيا ، لأن طرق القوافـــل التجارة كانت تبدأ من (مراكش) فى المغرب وتلسمان ،وطرابلس ،ومصر متجهـــة جنوباً متجاوزة الصحراء الكبرى الى ان تصل مراكز التجارة الرئيسية فـــى غـــرب افريقيا مثل " غانا " و " تمبكتو " و " والهوسا " " وكانم " و" البرنو " ، هذه العلاقات التجارية بين عرب شمال افريقيا نمت وتطورت تطوراص طبيعياً الى ان تم انتشـــار الثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا لأن التجارة بطبيعة الحال تلزمها لغـــة التخاطـــب بين الطرفين البائع والمشترى وبما ان اللغة العربية هى لغة التجار ومن الطبيعـــى ان

[1] المرجع السابق – ص 29
[2] سورة العلق الآية 5

يلتقطها التجار الافارقة خلال تبادل التجارة ، هذه العلاقات التجارية هى التى أسست للثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا ومهدت لانتشارها ، لآن التجار العرب يدخلون كلمات عربيةوتعابير أثناء التبادل التجارى وبمرور الزمن اندمجت تلك اللغات مع اللهجات واللغات المحلية فى غرب افريقيا مما يؤكد ذلك انتشار اسماء السلع التجارية العربية وتأثرت لغة الهوسا بتلك الاسماء العربية للبضائع فمثلاً كلمة (سرج ، والحرير ، والزعفران ، واللجام ، والدواة) كلها كلمات عربية وافدة على لغة الهوسا وهى تنطق بتحريف بسيط وهذا يؤكد أن اللغة العربية تركت اثارها فى عدد من اللهجات واللغات المحلية ، فى غرب افريقيا توجد هذه الاثار فى لغات (الهوسا ،وصنغى ، والفولانى) ومما يؤكد فان لغة الهوسا كتبت باللغة العربية ، يقترن العهد الزاهر للثقافة الاسلامية فى غرب افريقيا بعهود [1].الإمبراطوريات والممالك الأفريقية الإسلامية الكبرى (مالي) (غانا) و(صنغي) ثم مملكة (البرنو) و(الهوسا) و(التكارنة) و(الفولاني) أن أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية من غرب أفريقيا قديم قدم هذه الممالك والإمبراطوريات الأفريقية الإسلامية التي تأسست على نهج الحضارة الإسلامية في بناء تلك الإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا وأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية السائدة في تلك الممالك وهي لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الإمبراطوريات الإسلامية في غرب أفريقيا بفضل الشيخ (عثمان دانا فودي)[2]. مؤسس الخلافة الصكتية وأعوانه في ولايات (الهوسا) ونشر الفولانيون الثقافة الإسلامية في مناطق عديدة منها يقع في (النيجر) و(داهومي) ومما ساعد وساهم في نشر الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا أن جعل حكام هذه الممالك والإمبراطوريات

[1] د. عمر احمد سعود – مدخل الآدب الافريقي – جامعة افريقيا العالمية – الخرطوم – 2000م ص39

[2] المرجع اليابق ، ص 49 .

اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، لقد شجع الشيخ (عثمان دانا فودي) وأعوانه على نشر الثقافة الإسلامية وأوضحوا أهميته وضرورته خلال أعمالهم الأدبية لذلك فإن مرحلة الخلافة الصكتية هو العصر الذهبي لإزدهار وإنتشار الثقافة الإسلامية وتقدم علومه من غرب أفريقيا .

لقد إنتشر التعليم الديني إنتشاراً كبيراً حيث عم كل الولايات التابعة لخلافة (صكت) .

إن حركة التعليم ونشر الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا قد تطورت ووصلت منزلة رفيعة خلال فترة خلافة (صكت) إذ أن اللغة العربية والثقافة الإسلامية قد تركت أثراً واضحاً وبارزاً لدى الشعوب الأفريقية خاصة في غرب أفريقيا ويظهر الأثر واضحاً وجلياً في لغاتهم المحلية المتأثرة بالثقافة الإسلامية .

ففي أقصى أفريقيا (السنغال) تشكل الثقافة الأفريقية المتأثرة بالثقافة الإسلامية سمات وخصائص الواقع الأفريقي المتأثر يالثقافة الإسلامية ، وهذا هو أمير شعراء عصره القاض (مجقت كل) يمدح الملوك المحليين في بداية العقد السابع من القرن التاسع عشر الميلادي وهو الملك (لتجور كوني) الذي إنتزع ملكه من براثين الإستعمار الفرنسي ، أسس مملكة الإسلام وشيد المساجد ودور العلم ولدراسة المعرفة الإسلامية فيؤرخ الشاعر بهذا الحديث وكأنه يذكرنا ببداية الإسلام الأولى في غرب أفريقيا أيام المرابطين والمجاهدين في مملكة (صكت) يقول الشاعر :-

بشرى لقد شاد الدين لتجور فأحيا اليوم بالإسلام كاجور

تلقيه بأمر المعروف عسكره كأنما جاءه من ربه النور

وهل ترى نادياً فيه تمر فيه إلا ويسمع تهليل وتكبير

تروع أفئدة الأعداء كتائبه كأنهم غنم للأسد مذعور

فليدخل لناس طوعاً في طريقه وإلا فالسيف والموت مشهور

أقام سبعة أعوام يبارزهم حتى رأوا أن جند الله منصور

فحاولوا السلم منه قائلين له لك البلاد فهذا خذه كجور

وبعد سرد طويل لأحداث المعركة وملابستها وتفاني المجاهدين ضد المستعمر الفرنسي يختم الشاعر القصيدة يقول :- [1]

حمداً إذا ما النصارى أخرجوا فلنا من بعدهم للديار بالدين تعمير

أخرجتهم بحروب ذكرها أبداً باق بقاء جبال الأرض مشهور

هذه القصيدة تؤكد هدف الورقة مدى تأثر الثقافة الأفريقية بالثقافة الإسلامية إذ أن القصيدة بمثابة تصور دقيق لعبقرية أدبية أفريقية وصلت قمتها في مجال الشعر في غرب أفريقيا ونلاحظ أيضاً الشاعر الأفريقي الصوفي (أحمد بمبا) ارتجل هذه القصيدة يرفض منصباً عرض عليه في بلاط ملك (كجور) وقد استهلها:

قالوا لي أركن لأبواب السلاطين تحز بجوائز تغنى في كل حين

فلقت حسبي ربي واكتفيت به ولست راض غير العلم والدين

إني أفوض أحوالي لمن عجزوا عن حال أنفسهم عجز المساكين

[1] محمد الجوهري حمد ، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، دار الأمين ، القاهرة ، 1989م ، ص 210 .

أو كيف يدفعن حب الحطام على جوار من دورهم رضى الشياطين

يا من تلوم فلا تلم ودع عز لى إذ لست من فقدي ديني مخزون

وإزدهرت الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا خلال الشعر ونجد شاعراً يقال له (ألفا) [1]. أن يركب البيداء إلى بلاد (البيضان) [2]. باحثاً عمن يساجله من فطاحل شعراء العرب ولا يفوته أن ينصب نفسه شاعراً زمانه بلا منازع ويقول :-

يا ساعياً بركب البيداء والقطرا ويدخل البيد كيما يدرك الوطرا

فبلغت مل قح من بني زمني أني توجهت أني أشعر الشعراء

هذا الشاعر يؤكد تأثره بالثقافة الإسلامية وهذا إن دل إنما يدل على مدى تأثر الشعوب الأفريقية خاصة غرب أفريقيا بالثقافة الإسلامية ، حتى نلاحظ هذا الشاعر الأفريقي يحاول منازلة شعراء العرب من الجزيرة العربية وأيضاً هذه الثقة عند الشاعر الأفريقي يؤكد ما نود الوصول إليه من خلال هذه الورقة إلى تلك الآثار التي تؤكد أهمية أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية .

أيضاً نلاحظ هذا التمكن من الشعراء الأفارقة في غرب أفريقيا للغة العربية وبالتالي الثقافة الإسلامية في أنهم وضحوا نظام المزاوجة بين القصيدة المكتوبة باللغة المحلية وبين القصيدة العربية ، وأن الشاعر الأفريقي يوظف في كتاباته وأعماله الأدبية اللغة العربية حتى عند التعبير عن لهجته المحلية وهذه المزاوجة تجعله يكتب صدر البيت بالعربية وعجز البيت بالولفية عن نفس الوزن والقافية ، وهذا يؤكد ما نصبوا إليه أن هذا التمكن من اللغة العربية إنما يدل على أثر الثقافة الإسلامية

[1] الفاء اسم شاعر افريقي .
[2] البيضاء ، البلاد العربية أو الجزيرة العربية

الواضح من الثقافة الأفريقية المكتوب باللغة العربية ونلاحظ ذلك بوضوح حيث نجد أن الشاعر القاضي (محقق كل) وقد ضربت عليه الإدارة الفرنسية الحاكمة عقوبة الإقامة الجبرية بعيداً عن أهله ومعارفه فكتب هذه القصيدة[1].

هل من سبيل إلى داري ومسكني يولا بوخ ويمة يمي فتل كنية

إنت المخاطب يا صاحب المدافع

أخبرت أن أمير حيف أوعدني من ورانا كدفل تقافو ونمس كسبه

يا لعجبي من يرى مثلي زج في السجن

فهلا فلا تصخ للواشين مستمعاً لا جل كخم لمرادف أك لدا سلبه

أسأل معارفي عني وعن احوالي

أسأل سواي حاسدي عني وعن سيرتي تنك قعل نت تي بل فت مك جكيه

تأن ولا تنسى إنسان اليوم ونفاقه

هذه الأبيات تؤكد أنها وضحتت المحاور المشتركة والوشائج بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأفريقية ونسجت جهود الأفارقة عبر التاريخ خيوطاً ناصعة في الإنتاج الفكري والإبداع الفني لذلك فإن أقدم المأثورات الثقافية الأفريقية المكتوبة باللغة العربية أو الحروف العربية هي عبارة عن مدائح في سير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ملحمة في حياة أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فأقدم مخطوط

[1] مرجع سابق ، ص 210 .

من غرب أفريقيا هي (نبل الإنتاج في تطريز الديباج) [1] للشيخ (أحمد بابا التنبكتي) وفيه تاريخ للحياة الفكرية والثقافية الإسلامية لغرب أفريقيا وايضاً كتاب (الميسور في تاريخ التكرور) للسلطان محمد بن عثمان دانا فودي وحيد عصره في تصوير الأحاديث التاريخية وما سايرها من إبداع الأدباء والعلماء من غرب أفريقيا من بداية القرن التاسع عشر ، من النيجر إلى وادي نهر تشاد ، ونجد أيضاً من بعض القصص من حوض نهر السنغال من غرب أفريقيا خاصة من المراسلات الشعرية المأثورة عن الشيخ (عمر القوتي) إلى أهل طور شمال السنغال .

هذا دليل على صحة لمقولة التي تؤكد بأن الثقافة الأفريقية في غرب أفريقيا المرتبطة بالثقافة الإسلامية كان إسلامياً في صميمه ، ويعتبر الأفارقة في غرب أفريقيا أن اللغة العربية مقدسة ويجب أن تخدم الدين ما يقوله الدكتور شيخو احمد سعيد غلادنت يؤكد أن الثقافة الأفريقية في غرب أفريقيا ارتبطت بالثقافة الإسلامية في معظم الحقب التاريخية وهو يقول (ليس من السهل أن نفرق بين العلماء والأدباء في غرب أفريقيا في هذه الفترة ، فالعلماء هم الآدباء وهم قادة الفكر وهم الذين يقومون بأمور الدولة ، كما يقومون بتدريس الدين واللغة والأدب ليس هنالك فرق بين الأداب والفنون وذلك لأنها كلها تهدف إلى غاية واحد ة وهي الدين ، فهو الفهم الرئيسي في التعليم كله ، وهو أن يتفقهوا في الدين لأنهم كانوا يريدون أن يحيوا حياة دينية ، فتعليم اللغة العربية ليس غاية في ذاته وإنما هي وسيلة لفهم الدين ، ولقد

[1] د. عمر أحمد سعيد ، مدخل للأدب الأفريقي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2002م ، ص 52 .

عكف العلماء على تعليم اللغة العربية وتعلموها لغة وأدباً وألفوا بها كتباً كثيرة في شتى مجالات الأداب)[1].

وهذا ما يؤكده المستفرق (توماس هوديكن) [2]في تعليقه على الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا في نفس هذه الحقبة في غانا ساحل الذهب يقول :- (هو أدب تناسبه صفة الإسلام على إعتبار أن كتابه مسلمون وينطلقون من الثقافة الإسلامية وعلومه ويحسون بماض علاقتهم بالثقافة الإسلامية وبهذا الدين الإسلامي وينظرون إلى الأدب كوسيلة لغاية هي تبليغ الإسلام).

إن اللغات في غرب أفريقيا منها (لغات كانوري) و (الهوسا) و(السنغاري) و (البامانا) و(الولوف) و (البال) ومعظم اللغات واللهجات في غرب أفريقيا استخدمت بمستويات مختلفة الحرف العربي في كتابه الأدب الأفريقي لتقريب المعنى للمجتمع في غرب أفريقيا ومعظم إنتاج هذا النوع من الأدب كان طابعه دينياً أي تناول الموضوعات الدينية وبالتالي كان أثر الثقافة الإسلامية واضحاً خلال هذا التناول لأن هذه الأعمال الأدبية كانت تعبر عن الثقافة الأفريقية التقليدية سوف نتاول نماذج من هذا النوع من الأدب المنتمي للدين وقد حاول المستعمر تشويهها لكن لم يستطع طمسها فهي تولد دائماً ومعها مقومات البقاء وآليات المدافعة عن نفسها ، وهذه أمثلة للثقافة الإسلامية وأثرها على غرب أفريقيا [3].

[1] عمر صمب ، الأدب السنغالي العربي ، ج2 ، طبعة الجزائر ، 1972م ، ص 32 .
[2] على الخاتم الاسلام فى غرب افريقيا اثاره الثقافية ، مجلة دراسات افريقية ، جامعة افريقيا العالمية ، الخرطوم ، 1985م ، ص17
[3] المرجع السابق ، ص 47 .

نجد واحد من أدباء تلك الفترة في نيجريا هو (عبد الله دانفوديو) أخ الشيخ (عثمان دانا فودي) يوصف أثر معركة دارت بينهم وبين الكفار تحت قيادة (ينف*) المتأمر مع الطوارق ضدهم فيقول :

بدأت بإسم الله والشكر يتبع على قمع كفار علينا تجمعوا

يستأصلوا الإسلام والمسلمين من بلادهم والله في الفضل واسع

توارك مع (غوير) و(ينف) سيفهم مخريبهم والله يرى ويسمع

فلما أتوا (غنفنج) ما فيه أفسدوا بحرق وتخريب وأشياء تقطع

ونحن بالإسلام جمع تناصروا وليستا بشيء غيره يترفع

فيا أمة الإسلام جدوا وجاهدوا ولا تهنوا فالصبر للنصر مرجع

مما يدل على عمق الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا أنها رسخت جذورها في المنطقة وأصبحت جزء من التراث المحلي وتداخلت سلباً وإيجاباً مع المكونات المحلية للثقافة الأفريقية وتفاعلت معها خلال هذا الواقع الأفريقي في تلك الفترة ولذلك لم يفلح المستعمر مع جهوده المضنية في محو آثار الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا بصورة خاصة .

إن الثقافة الأفريقية هي الوليد في البيئة الأفريقية وهي تعبر عن أراء ابناء هذه القارة وعن مشاعرهم وانفعالاتهم وهذه الانفعالات في غرب أفريقيا ارتبطت بالقيم الإسلامية لذلك فإن الثقافة الأفريقية المتأثرة بالثقافة الإسلامية هو تعبير عن الواقع الأفريقي في تلك الفترة التي تداخلت فيها التراث الأفريقي بالقيم والمورثات الإسلامية

وهذا التداخل أياً كان فهو يؤكد تفاعل الشعب الأفريقي خاصة في غرب أفريقيا بالموروثات الإسلامية خلال تأثره بها .

هؤلاء الكتاب الذين ورد ذكرهم في هذه الورقة من علماء وكتاب غرب افريقيا الذين كتبوا بالعربية عن الواقع الأفريقي حيث الممالك الإسلامية والمراكز الثقافية الإسلامية في غرب أفريقيا ، هؤلاء هم الكتاب الذين تناولوا أفريقيا الغربية وثقافتها بأقلامهم التي أكدت مدى تأثر الشعوب الأفريقية بالحضارة والقيم والموروثات الإسلامية لذلك فإن منطقة غرب أفريقيا تعتبر من المناطق التي تأثرت تأثراً مباشراً بالثقافة الإسلامية ومن أكثر تلك المناطق التي حظيت بنصيب أوفر هي نيجريا والسنغال ، حيث لا يزال للحركة العلمية والأدبية الإسلامية موطئ قدم فيها حتى الآن بالرغم من الجهود الجبارة التي بذلها المستعمران الإنجليزي والفرنسي لطمس معالم الثقافة الإسلامية فيها .

الخاتمة :-

تجئ هذه الورقة لتؤكد أثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية في غرب أفريقيا ، ووفاءاً وبحثاً لما في الدعوة الإسلامية والموروث الإسلامي القريب والبعيد وإسهامها في بناء الحاضر الإسلامي في غرب أفريقيا واستشراقاً لمستقبل الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا .

من خلال تناولنا لأثر الثقافة الإسلامية على الثقافة الأفريقية نلاحظ مدى تأثر هؤلاء الأدباء ، والشيوخ الأفارقة في غرب أفريقيا بالثقافة الإسلامية ومردود هذا التأثر الواضح على الثقافة الأفريقية خلال أعمالهم الفنية والأدبية .

أن الدارس للتراث الأفريقي خاصة المتأثر بالثقافة الإسلامية يلمس حقائق تؤكد أصالة وإمتداد هذا التراث الحضاري والثقافي الإسلامي واتصالها بالثقافة الأفريقية ، كما تؤكد عمق العادات والتقاليد المشتركة فلا نلمس فرقاً كبيراً بين الثقافة الإسلامية والثقافة الأفريقية المتأثرة بالثقافة الإسلامية ، فالايقاع واحد ، والكلمات تحمل نفس المضمون وأن اختلفت الألفاظ والذي يتغنى به الشاعر العربي يتغنى به الشاعر الأفريقي في غرب أفريقيا .

إن كل هذه الشواهد الدافعة على الإمتداد الطبيعي للثقافة الإسلامية والثقافة الأفريقية تدحض تلك الإفتراءات التي روج لها المستعمر ومحاولتهم طمس هذه المعالم ، إن مساهمة الأدباء والكتاب في غرب أفريقيا ساهمت في تطور وازدهار الثقافة الإسلامية في المجتمعات الأفريقية التي تفتحت فيها روح الكتابة والتدوين التي ارتبطت بقراءة القرآن ودراسته والتي أثرت على حياة المجتمعات الأفريقية في غرب أفريقيا ومن ثم يكون إنعكاسها على النتاتج الأدبي بأنواعه قوية وبينة حيث نلاحظ الأثر واضحاً ومؤثراً في حياة تلك المجتمعات في معالجة قضاياهم الإجتماعية .

المراجع :-

1. د. حسين مؤنس ، الحضارة ، الدار المصرية للكتاب ، القاهرة ، 1968م.
2. محمد الجوهري حمد ، الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، دار الأمين ، القاهرة ، 1989م
3. د. عمر أحمد سعيد ، مدخل للأدب الأفريقي ، مركز البحوث والدراسات الإسلامية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2002م
4. عمر صمب ، الأدب السنغالي العربي ، ج2 ، طبعة الجزائر ، 1972م
5. نادية شريف ، أضواء على الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت 1975م .
6. زيدان عبد الباقي ، ركائز علم الإجتماع ، القاهرة ، 1961م .
7. علي الخاتم ، الإسلام في غرب أفريقيا ، آثاره الثقافية ، مجلة دراسات افريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 1985م .
8. حسن الطاهر ، الدعوة الإسلامية في غرب أفريقيا الزهراء للإعلان ، القاهرة ، 1991م .